



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"فإيرى" هو النص الأسبوعي الثاني من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية الثانية من المقطع السادس وينتهي بالآية الخامسة والثلاثين من المقطع التاسع.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

تجاوز العقبات والإخفاقات

في البداية، بدأ أن مهمة نبي الله ورسوله موسى تسيير بنجاح. فقد كان يخشى أن يكذبه بنو إسرائيل، لكن الله عز وجل أمده بالآيات والمعجزات، ووجه أخاه أهارون/هارون ليخاطب الشعب نيابة عنه، كما ورد في الآيتين الثلاثين والحادية والثلاثين من المقطع الرابع من سفر الخروج: "وَكَلَّمَهُمْ أَهَارُونُ، بِجَمِيعِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ مُوسِيهِ، وَصَنَعَ الْمُعْجَزَاتِ بِخُضْرَةِ الْقَوْمِ؛ فَأَمَنَ الْقَوْمُ، إِذْ سَمِعُوا، أَنَّ قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَظَرَ لِبُصْغِهِمْ، فَخَرُّوا وَسَجَدُوا".

لكن الأمور سرعان ما تتعقد، وتستمر في التدهور. لقد كانت المواجهة الأولى لموشيه أمام فرعون كارثية بكل معنى الكلمة، فقد رفض فرعون أن يعترف بالله عز وجل، ورفض طلب موشيه السماح لبني إسرائيل بالخروج إلى البرية. ولم يكتف بذلك، فجعل حياة بني إسرائيل أشد سوءاً، مثقلاً كاهلهم بالعمل، إذ أمرهم بصنع نفس الكمية من الطوب، لكن عبر جمع التبن بأنفسهم هذه المرة. وهنا انقلب الشعب على موشيه وأخيه أهارون، وقالوا لهما، كما جاء في الآية الحادية والعشرين من المقطع الخامس من سفر الخروج: "...يَنْظُرُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَيَحْكُمُكُمْ، كَمَا أَفْسَدْتُمَا عَلَيْنَا، عِنْدَ فِرْعَوْنَ وَعِنْدَ قَوَائِدِهِ، حَتَّى لَوْ أَنَّ سَيْفًا فِي أَيَادِيهِمْ لَقَتَلُونَا".

وبعد هذا الإخفاق، عاد نبي الله ورسوله موسى وأهارون إلى فرعون ليكررا طلبهما من جديد، وأرياه آية من آيات الله عز وجل، فحوّلوا العصا إلى حية، لكن فرعون لم يتأثر، إذ كان سحرته قادرين على فعل الأمر نفسه. ثم حذّراه من أولى الضربات الإلهية (الآفات)، وهي الدّم، فلم يهتم، فحلت عليهم بالفعل، إذ تحولت مياه مصر إلى دم، لكن فرعون بقي على عناده، ولم يطلق سراح شعب إسرائيل. وهكذا توالى الضربات تسع مرات أخرى، وكان نبي الله ورسوله موسى يبذل كل ما بوسعه لإقناع حاكم مصر، ولكن دون جدوى، فقد ظلّ شعب إسرائيل عبيداً، وأسرى في قيود الذلّ.

ومن خلال هذه السطور، نكاد نلمس الضغوط الثقيلة التي كانت تُطبق على قلب نبي الله ورسوله موشيه، فبعد إخفاقه الأول، وفي نهاية نصّ شُموت، يتوجّه نبي الله ورسوله موشيه إلى الله عزّ وجلّ، شاكياً بقلب يملؤه الحزن والمرارة، كما ورد في الآيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من المقطع الخامس من سفر الخروج: "فَرَجَعَ مُوشِيه، إِلَى اللَّهِ، وَقَالَ يَا رَبِّي، لِمَ أَبْلَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، وَلِمَاذَا بَعَثْتَ بِي؛ وَمِنْ حِينَ دَخَلْتُ إِلَى فِرْعَوْنَ أَخَاطِبُهُ بِاسْمِكَ، أَسِيءَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ تُخَلِّصْهُمْ مِنْ ذَلِكَ".

في هذا النصّ التوراتي الأسبوعي "فايزي"، وعلى الرغم من أن الله عزّ وجلّ طمأن نبي الله ورسوله موشيه بأنّ الخلاص آتٍ لا محالة، فإنّ موشيه لم يُخَفِّ هواجسه، بل خاطب ربّه، كما ورد في الآية الثانية عشرة من المقطع السادس من سفر الخروج: "يَا رَبِّي، هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَقْبَلُوا مِنِّي، فَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنِّي فِرْعَوْنُ، وَأَنَا أَلْتَمِسُ الْفِيمَ".

في هذه الآية رسالة خالدة: إنّ القيادة، حتى في أرفع تجلّياتها، لا تُفارقها الإخفاقات. بل قد تكون الإخفاقات جزءاً جوهرياً من مسيرة العظماء. فقد اضطر الرسّامون الانطباعيون إلى تنظيم معارضهم بأنفسهم، بعدما رفضت صالونات الفنّ الباريسية أعمالهم. وقد قُوبِلَ العرضُ الأول لباليه "طقوس الربيع" للمؤلف الموسيقي سترافينسكي بالصفير والصّراخ والاحتجاج، حتّى كاد الشغب أن يندلع في القاعة. ولم يستطع الرّسام الهولندي فان غوخ سوى بيع لوحةٍ واحدة في حياته، رغم أنّ أخاه ثيو كان يعمل تاجرًا للفنّ.

وكذلك هو الحال مع القادة العظام. فكما رأينا في نقاشنا حول نصّ "فايشلاخ"، فقد واجه كلّ من أبرهام لنكولن وونستون تشرشل إخفاقاتٍ متكرّرة، وكنا في أحيان كثيرة مكروهين داخل وطنيهما. ولم ينجح موهنداس كرمشاند غاندي في تحقيق حلمه بتوحيد المسلمين والهندوس في دولةٍ واحدة. وقد أمضى نيلسون مانديلا سبعةً وعشرين عامًا خلف القضبان، بعد أن اتُّهم بالخيانة، وصُفِّتَ على أنّه مُحَرِّضٌ خطير. فالناس لا يدركون بطولة الأبطال إلّا بعد مرور الزمن. وفي وقت المحنة، لا تبدو المحنة أنّها طريقٌ للخلاص. ووحدهُ النظر إلى الوراء يُظهرُ لنا أن كلّ تلك السقطات، كانت خطواتٍ ضرورية على طريق النّجاح.

وحين تأملنا نصّ "فايتسيه"، رأينا أنه في كلّ مجال، رفيعًا كان أم أقلّ شأنًا، مقدّسًا أو دنيويًا، لا يُختبَرُ القادة بنجاحاتهم، بل بإخفاقاتهم. فالنجاح عندما تكون الظروف مواتية، والأوضاع السياسية والاقتصادية والشخصية جيّدة، لا يتطلّب مهارةً استثنائية. فحين يكون هناك ازدهار اقتصادي، تنتعش معظم الأعمال التجارية. وفي الشهور الأولى بعد الانتخابات، يبقى القائد المنتخب متوهّجًا بهالة النصر. وفي السنة الأولى من الزواج، يكون أغلب الأزواج سعداء ويسود الانسجام. كلّها حالاتٌ لا تختبر المعدن الحقيقي للناس.

لكنّ الأجواء والظروف تتغيّر دائمًا، وحين تتغيّر، تنهار الكثير من الأعمال التجارية، وتتعرّج السياسات، وتتفكّك العلاقات الزوجية. فهناك لحظاتٌ يسقط فيها حتى أعظم الناس. وتلك اللحظات هي التي تمتحن جوهر الإنسان الحقيقي. فالعظيمة لا تعني أبدًا ألاّ تسقط، بل أن تنهض حين تتعرّج، فتواصل الطريق، وترفض أن تُهزم أو تستسلم أو تنكسر. والعظماء هم الذين يُحاولون مرّةً تلو أخرى، ويتعلّمون من كلّ سقطة، ويحوّلون الفشل إلى عبرة. وفي كلّ مرّةٍ يرفضون فيها الهزيمة، ينهضون أقوى وأكثر حكمةً وإصرارًا. وتلك هي بالتحديد قصة حياة نبي الله ورسوله موشيه، كما تتجلّى في نصّي "شُموت" و"فايزي".

وقد لخصّ جيم كولينز، أحد أبرز الكتّاب في فنّ القيادة، هذه الحقيقة جيّدًا حين قال:

"السّمة الفارقة بين العظماء الحقيقيّين وبين الناجحين نجاحًا عابريًا فحسب، لا تكمن في غياب الصعوبات التي يواجهونها، بل في قدرة العظماء على النهوض من العثرات، حتى بعد الكوارث المدمّرة، أقوى مما كانوا عليه من قبل... إنّ الخروج من نفق الظلمة يبدأ بفضل الأفراد العنيدون الذين لا يعرفون معنى الاستسلام. إنّ التعرّض لهزيمة قاسية هو أمرٌ يختلف تمامًا

عن التخلي عن القيم والطموحات التي من أجلها تُخاض معركة النضال الطويلة. وليس الفشل مجرد حالة جسدية أو مادية، بل هو حالة ذهنية. والنجاح هو أن تسقط، ثم تنهض مرةً أخرى بلا توقف".¹

وقد كتب الحاخام يتسحق هاتنر رسالةً مُدهشةً لأحد تلاميذه الذي أصابه الإحباط بسبب فشله المتكرر في دراسة التلمود. قال له:

"من أكثر الأخطاء التي نقع فيها حين نتحدث عن العظماء، أننا نركّز على الكمال الذي بلغوه في أحد المجالات، ونتجاهل الصراعات الداخلية التي خاضوها في طريقهم. وقد يظنّ المستمع أن هؤلاء العظماء قد خلقهم الله على تلك الصورة من الكمال... والنتيجة هي أن الشاب الطموح، حين يتعثر، ويضعف، وينهار، يتخيّل أنّه لا يستحقّ أن يكون 'مَغزُوسًا' في بَيْتِ الرَّبِّ" (كما ورد في الآية الثالثة عشرة من المزمور الثاني والتسعين).

ثمّ أضاف الحاخام:

"لكن اعلم، يا صديقي، أن نفسك لا تتجذّر في سكينة الدافع الإلهي إلى الخير، بل في معركته. وينطبق هنا المثل الإنكليزيّ الذي يقول: 'اخسر معركة، واربح الحرب'. نعم، ستتعثّر، بل ستتعثّر مرارًا، وقد تخرج من بعض المعارك وأنت أعرج. لكنّي أعدك بأنك بعد كلّ تلك الهزائم، ستخرج من الحرب بإكليل النصر على رأسك. فالحكيم من الناس قال: 'الصّدِّيقُ يَسْقُطُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَيَقُومُ'، كما ورد في الآية السادسة عشرة من المقطع الرابع والعشرين من سفر الأمثال. يظنّ الجاهلون أن المقصود من الآية هو أنّه يسقط، ثمّ يقوم على الرّغم من سقطاته. لكنّ العارفين يعلمون أن قيامه نابغ من سقوطه، وأنّ جوهر إصراره على النهوض يكمن بالتحديد في تلك السقطات السبع".²

وُخلاصة رسالة الحاخام هاتنر هي أن العظمة لا يمكن تحقيقها دون الفشل، وأنّ هناك قممًا لا يُمكن للمرء بلوغها إلا بعد أن يتعثّر ويسقط أولاً.

لقد كان لهذه الفكرة أثرٌ عميق في حياتي الشخصية. ولسنوات عديدة، احتفظتُ على مكتبي ببطاقةٍ أرسلها لي صديقٌ يعلم تمام المعرفة أنّ الإنسان معرّضٌ للإصابة بالإحباط بسهولة بالغة، وقد كُتب عليها الاقتباس التالي للرئيس الأميركيّ كالفين كوليدج، الذي عرّف بثباته وحكمته:

"لا شيء في هذا العالم يُمكنه أن يحلّ مكان الإصرار. الموهبة وحدها لا تكفي؛ فما أكثر الرجال الموهوبين بلا نجاح. والعبقريّة وحدها لا تكفي؛ فكم من عبقرٍ لم يحصل على تقدير أو مكافأة، وتلك حقيقةٌ يعرفها القاصي والداني. والتعليم وحده لا يكفي؛ فالعالم يعجّ بمتعلّمين فشلوا في ترجمة معارفهم إلى فوائد حقيقية. وحدهما الإصرار والعزيمة، يملكان قوّةً لا تُقهر".

وأنا أضيف إليهما: "سيعاتا ديشمايا"، أي العون الإلهي من السماوات. فالله عزّ وجلّ لا يفقد الإيمان بنا أبداً، حتى حين نفقد نحن إيماننا بأنفسنا.

وإنّ قدوتنا الأساسية في الإصرار والعزيمة والتوكّل على الله هو نبيّ الله ورسوله موشيه. فرغم كلّ النكسات والعثرات التي واجهها، والتي رُوِيَتْ تفاصيلها في نصّي "شموت" و"فايزي"، فقد أصبح في النهاية الرجل الذي قيل عنه "وكان موشيه ابنَ مئةٍ وعشرينَ سنّةً إذ مات، لم تدمسْ عينُهُ ولم تزلْ رطبته"، كما ورد في الآية السابعة من المقطع الرابع والثلاثين من سفر التثنية.

1. Jim Collins, How the Mighty Fall: And Why Some Companies Never Give In (New York: HarperCollins, 2009), 123.

2. Rabbi Yitzhak Hutner, Sefer Paḥad Yitzḥak: Iggerot UKetavim (Gur Aryeh, 1981), no. 128, 217–18.

إنَّ الهزائم، والتأخيرات التي تسبق النجاح وخيبات الأمل... تؤلم الإنسان حقًا. وحتى الرجال العظماء مثل نبي الله ورسوله موشيه لا يسلمون منها. لذلك، يتوجب علينا، إن مررنا بأوقاتٍ شعرنا فيها بالإحباط وتدهور المعنويات، أن نتذكر أنَّ أعظم الناس قد سقطوا قبلنا، وأنَّ ما جعلهم عظماء في نهاية المطاف، كان نهوضهم ومضيهم قدمًا. فطريق النجاح لا بدَّ أن يمرَّ بؤديان الفشل، ولا بديل عن ذلك.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



f t i n | RABBISACKS.ORG